التقارير

الصراع الأمريكي - الروسي في البحر الأسود

محمد فوزي حسن
مستشار إعلامي سابق بسفارة مصر بالكويت

الملخص :

يكتسب البحر الأسود أهمية الاستراتيجية، وهو ما جعله أحد محاور المنافسة الاستراتيجية بين روسيا والغرب، ومن ثم يشهد البحر الأسود تنافس الأمريكي – الروسي في تلك البقعة الجغرافية التي ظلت لقرون طويلة مسرحاً للتوترات تتنافس عليه مختلف القوى الإقليمية والدولية، فضلاً عن تأثيرات الحادث الأخير (هجوم روسيا على طائرة أمريكية بدون طيار في المجال الجوي الدولي) في البحر الأسود مؤخراً، وما يثيره من مخاوف من تصعيد أوسع بين موسكو وواشنطن في المنطقة، ما جعلها بؤرة ساخنة قد تتحول في أي لحظة إلى ساحة صراع عالمي، وساحة مواجهة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في أوروبا، آخذا في الاعتبار الأهمية الجيوستراتيجية والتاريخية التي يمثلها البحر الأسود وهو ما جعله أحد محاور المنافسة الاستراتيجية بين روسيا والغرب.

ولهذا تُعتبر التحرّكات الأخيرة والأحداث المتلاحقة في منطقة البحر الأسود مؤشراً واضحاً على ما تكتسبه المنطقة من أهمية جيوستراتيجية وتاريخية للعديد من الدول والقوى الإقليمية تستدعي اليوم انتباه الكثيرين، ولم يكن الصراع في منطقة البحر الأسود بجديد، إلا أنه بدأ يتخذ منحى آخر ليصبح مسرحاً للمعارك ومحوراً في الوقت ذاته للصراع.

Abstarct :

The Black Sea is gaining strategic significance, making it one of the hubs of Russia's strategic competition with the West, and the Black Sea is witnessing American-Russian rivalry in that geographical spot that for centuries has been the scene of tensions competed by various regional and international powers, as well as the effects of the recent incident (Russia's attack on a United States drone in international airspace) In the Black Sea recently, and its fears of a wider escalation between Moscow and Washington in the region, making it a hotspot that could at any moment become a global conflict arena, and a confrontational arena between the United States of America and Russia in Europe, taking into account the geostrategic and historical importance of the Black Sea, which has been one of the axes of Russia's strategic competition with the West.

Recent movements and subsequent events in the Black Sea region are therefore a clear indication of the region's geostrategic and historical importance to many States and regional Powers, which today call for the attention of many, and the conflict in the Black Sea region has not been new, but has begun to take another direction to become a scene of battle and at the same time a focus of conflict.

مقدمة:

ظل «البحر الأسود» لقرون طويلة مسرحاً للتوترات تتنافس عليه مختلف القوى الإقليمية والدولية، إلا أن وتيرة التحرّكات قد تصاعدت خلال الفترة الأخيرة، فقد باتت منطقة «البحر الأسود» بقعة جغرافية ساخنة قد تتحول في أي لحظة إلى ساحة صراع عالمي، وإذا كان بحر الصين الجنوبي هو ساحة المواجهة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في آسيا، فإن البحر الأسود يناظره في المواجهة بين واشنطن وموسكو في أوروبا.

ويكتسب البحر الأسود أهمية الاستراتيجية كونه يمثل نقطة عبور مهمة بين أوروبا وآسيا، فضلاً عن أنه مفترق طرق يربط مناطق القوقاز وشرق البحر المتوسط وغرب البلقان والشرق الأوسط، وهو ما جعله أحد محاور المنافسة الاستراتيجية بين روسيا والغرب.

وقد برز الصراع في البحر الأسود مجدداً عقب إسقاط روسيا مقاتلة أمريكية فوق مياهه في ١٤ مارس ٢٠٢٣، ما أُعتبر زاوية جديدة من زاويا المواجهات الميدانية في أوكرانيا ظهرت إلى الواجهة في أجواء البحر الأسود، تمثلت في «المواجهة القريبة» التي حدثت بين مقاتلتين تابعتين لسلاح الجو الروسي وطائرة مسيرة أمريكية، حملت هذه المواجهة في طياتها – بغض النظر عن تفاصيل الحدث نفسه – رسائل مهمة تأتي في مجملها ضمن سياق «حرب مستترة»، تخوضها واشنطن وموسكو في الميدان الأوكراني منذ أوائل العام الماضي، استخدم فيها كلا الطرفين مجموعة من الوسائل والطرق التي كانت جميعها بعيدة كل البعد عن الاصطدام المباشر - عسكريًا - بينهما.

وجاء ذلك في الوقت الذي أكدت فيه موسكو في 15 مارس 2023 أنها ستحاول العثور على حطام المسيّرة العسكرية الأمريكية التي تحطّمت فوق البحر الأسود، التي اعتبرت واشنطن أنها نتيجة سلوك متهوّر ويفتقر إلى المهنية، مما تسبب في تفاقم التوتر بين موسكو والقوى الغربية، وسط تحذيرات روسية من أنها سترد "بشكل متناسب" على أي "استفزاز" أمريكي في المستقبل، وسط ارتفاع منسوب التوتر فيما نفت روسيا بأن تكون مقاتلتها من طراز "سو-27" تسببت بقطع مروحة المسيّرة من طراز "ريبر"، لكن وزير الدفاع الأمريكي

لويد أوستن أعلن أنه أبلغ نظيره الروسي سيرجي شويجو بأن الولايات المتحدة ستواصل تحليق طائراتها في المجال الجوي الدولي فوق منطقة البحر الأسود.

وهنا يثُار التساؤل هل يصبح هذا الشريان الملاحي الاستراتيجي مسرحا لمواجهة كبرى بين القوى العالمية، خاصة وأن روسيا ربما تعتبره ورقتها الرابحة طموحاتها التوسعية؟، وآخذا في الاعتبار شرارة المواجهة الأمريكية - الروسية التي أشعلنها مقاتلة "البحر الأسود"، بعد أن أثار هجوم روسيا على طائرة أمريكية بدون طيار في المجال الجوي الدولي مؤخراً مخاوف من تصعيد أوسع بين البلدين، وهو الحادث الذي يعد المرة الأولى التي تدخل فيها الطائرات العسكرية الروسية والأمريكية في اتصال مباشر منذ أن شنت روسيا حربها على أوكرانيا قبل أكثر من عام، ومن المرجح أن يزيد التوترات بين البلدين، حيث وصفت الولايات المتحدة تصرفات روسيا بأنها "متهورة وغير احترافية"، بالتوازي مع بدء صراع آخر بين الروس والأمريكان بعد سقوط هذه الطائرة وهو سرعة التحرك لانتشال حطام الطائرة من قاع البحر الأسود.

أولاً: الأهمية الإستراتيجية لـ «البحر الأسود»:

يعد البحر الأسود بحراً داخلياً بين الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا وآسيا الصغرى، وتصب فيه أنهار كثيرة، وعلاوة على ذلك فهو يحتل موقعا استراتيجيا يمتد إلى روسيا وجورجيا نحو آسيا، ويرتبط بالمحيط الأطلسي عبر البحر المتوسط، الذي يتصل به عن طريق مضيق البوسفور، وبحر مرمرة، وبحر إيجه في الركن الجنوبي الغربي للبحر، كما يرتبط «البحر الأسود» شرقاً ببحر «آزوف «عن طريق مضيق «كيرتش»، فضلا عن إبحار مئات السفن الحاملة بالبضائع يومياً.

ويُطلق عليه "البحر الأسود"، ليس بسبب سواد لون مياهه بل لكثرة الغيوم فوقه، ويُعتبر احد أبرز المنافذ للبحرية الروسية نحو المياه الدافئة، وتحيط به دول روسيا وأوكرانيا، ورومانيا، وبلغاريا، وتركيا وجورجيا، بالإضافة إلى أهميته العسكرية والسياسية، تقع فيها منتجعات سياحية كثيرة، لاسيما في منطقة شبه جزيرة القرم وبلغاريا وجورجيا، ويشكل البحر الأسود المكان الذي تلتقي فيه العديد من كبرى القوى في العالم: روسيا، والاتحاد الأوروبي، وتركيا،

وحلف شمال الأطلسي "ناتو"، الذي يجلب معه الولايات المتحدة، مع العلم بأنه لا تتمتع أي من هذه القوى بالهيمنة على هذا البحر.

وتُعتبر التحرّكات الأخيرة والأحداث المتلاحقة في منطقة البحر الأسود مؤشراً واضحاً على ما تكتسبه المنطقة من أهمية جيوستراتيجية وتاريخية للعديد من الدول والقوى الإقليمية تستدعي اليوم انتباه الكثيرين، ولم يكن الصراع في منطقة البحر الأسود بجديد، إلا أنه بدأ يتخذ منحى آخر ليصبح مسرحاً للمعارك ومحوراً في الوقت ذاته للصراع.

كما تبرز أهمية البحر الأسود في احتواء منطقته على موارد النفط والغاز وخطوط أنابيب الطاقة الرئيسة وممرات الشحن وأسلاك الألياف الضوئية، إضافة إلى كونه منطقة غنية بالموارد الطبيعية والمنتجعات السياحية، ونقطة التقاء لأهم الممرات الاقتصادية والعسكرية، ويعتبر أحد أبرز المنافذ للبحرية الروسية نحو المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط وموازنة الوجود الأمريكي والأوروبي في كلا البحرين.

وعلاوة على ذلك فهو يحتل موقعا استراتيجيا في جنوب شرق أوروبا، ويمتد إلى روسيا وجورجيا نحو آسيا، ويرتبط بالمحيط الأطلسي عبر البحر المتوسط، الذي يتصل به عن طريق مضيق البوسفور، وبحر مرمرة، وبحر إيجه في الركن الجنوبي الغربي للبحر، كما يرتبط "البحر الأسود" شرقاً ببحر "آزوف "عن طريق مضيق "كيرتش"، فضلا عن إبحار مئات السفن الحاملة بالبضائع يومياً.

الدوافع الروسية لبسط النفوذ في البحر الأسود

على مدى قرون، اعتبرت روسيا أن البحر الأسود فائق الأهمية بالنسبة إلى أمنها، وتلتزم حالياً تأكيد هيمنتها في البحر الأسود جزئياً، ويعتمد نهج روسيا في التعامل مع البحر الأسود على تاريخ طويل من المواجهة مع القوى الكبرى في أوروبا وعلى التنافس الجيوسياسي مع تركيا، وتشمل أهدافها درء أي تهديد من حلف شمال الأطلسي سواء للأراضي الروسية نفسها، أو معقلها الاستراتيجي في شبه جزيرة القرم، حيث توجد أكبر قاعدة بحرية هناك، كما أنها تريد تقويض تماسك الحلف من خلال محاولة تأجيج الانقسامات بين أعضائه على طول البحر الأسود، ومنع أوكرانيا وجورجيا من الانضمام إليه.

ووفقاً للمحلل السياسي والعسكري "بول سترونسكي" فإن :"موسكو ترى أن منطقة البحر الأسود حيوية لاستراتيجيتها الجغرافية الاقتصادية، لإظهار القوة والنفوذ الروسيَين في البحر المتوسط، لحماية روابطها الاقتصادية والتجارية مع الأسواق الأوروبية الرئيسة، وجعل جنوب أوروبا أكثر اعتمادا على النفط والغاز من روسيا.

وتدرك روسيا احتمالية تدفق التوترات القادمة من الشرق الأوسط إلى الداخل الروسي، لا سيما شمال وجنوب القوقاز، وتنظر إلى هذه الكتلة المائية باعتبارها منطقة أمنية عازلة مهمة، وتحميها من التقلبات التي يمكن أن تنبع من الجنوب، ويضيف "سترونسكي" أن "موسكو تعتمد على البحر الأسود للوصول إلى المياه الدافئة، حيث البحر المتوسط وما وراءه سواء للعمليات العسكرية خارج جوارها المباشر أو لتصدير السلع الروسية الرئيسة.

وقد دأبت روسيا على اتهام دول غربية خاصة: الولايات المتحدة وبريطانيا بمحاولة إثارة صراع في البحر الأسود، تحاولان إثارة صراع في البحر الأسود، ويشار في هذا الصدد إلى اتهام نائب وزير الخارجية الروسي سيرجي ريابكوف في يونيو 2021 بريطانيا والولايات المتحدة بمحاولة إشعال صراع في البحر الأسود، وقال: إن "بلاده ستدافع عن حدودها بكل الوسائل الممكنة بما في ذلك الوسائل العسكرية"، وذلك حسبما أفادت وكالة الإعلام الروسية، وجاء ذلك بعد أن حذرت روسيا من أنها ستقصف السفن البحرية البريطانية في البحر الأسود، إذا وقعت أعمال استفزازية أخرى من جانب البحرية البريطانية قبالة سواحل شبه جزيرة القرم" التي ضمتها موسكو، بسبب عدم تقبلهما لفكرة أن شبه جزيرة القرم جزء من روسيا، وتعتبر موسكو شبه الجزيرة جزءاً من أراضيها، وضمت روسيا القرم في 2014 مما أدى إلى تصاعد حدة التوترات في منطقة البحر الأسود، لكن الإقليم جزء من أوكرانيا باعتراف دولي.

ومنذ وضع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قدم بلاده في البحر الأسود حينما قرر عام 2014 بسط سيطرته على شبه جزيرة القرم، أثار ذلك غضب الناتو وبدأ نزاع بينهما على هذه الرقعة الجغرافية لكنه قد ينقلب لصراع مباشر، بحسب ترجيحات دوائر مراقبين.

ووفقاً لتقديرات دوائر بحثية دولية، فإن الحرب الروسية المستمرة في اوكرانيا، فضلا عن غزوها جورجيا عام 2008، كانت مدفوعة جزئيا - على الأقل - بالاعتقاد بأنها بحاجة إلى إعادة ترسيخ أمنها بإبعاد الغرب عن البحر الأسود، وهو ما يفسر سعي موسكو إلى إعادة تأسيس نفسها بوصفها لاعبا أمنيا رئيسيا على البحر الأسود من خلال غزوها جورجيا، وتدمير أسطول "تبليسي" الصغير لخفر السواحل، وقصف ميناء بوتي الرئيسي، وإضفاء الطابع الرسمي على السيطرة على أبخازيا بالمنطقة الواقعة على الشواطئ الشرقية للبحر الأسود.

الدور الأمريكي في البحر الأسود

منذ الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا، كثفت الولايات المتحدة وبريطانيا رحلات الاستطلاع والمراقبة في منطقة البحر الأسود، على الرغم من أنها تعمل دائماً في المجال الجوي الدولي، وقد اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية قد اتهمت روسيا بممارسة سلوك متهور، بعد سقوط طائرة استطلاع مسيّرة أمريكية في البحر الأسود من جرّاء مواجهة مقاتلات روسية.

ويمثل البحر الأسود منطقة ذات أهمية، يعتبرها بعض خبراء التحليل السياسي والعسكري، "قصوى" للولايات المتحدة لسببين:

- أولًا: التزام واشنطن بموجب معاهدة "الناتو"، إذ أن ثلاث دول من أصل ست تطل على البحر الأسود (تركيا وبلغاريا ورومانيا) هي أعضاء في الحلف، في حين تشارك دولتان أخريان (أوكرانيا وجورجيا) في برنامج "الناتو للشراكة من أجل السلام"، وأن جورجيا مرشحا رسميا للانضمام للحلف.
- وثانياً: أن روسيا أحد أكبر الخصوم الجيوسياسيين لأمريكا في منطقة البحر الأسود في مجالات الطاقة والتجارة والأمن والاقتصاد. وعلى الجانب الآخر فإن روسيا تعتبر هيمنتها على منطقة البحر الأسود مسألة بقاء وطني للدفاع عن أراضيها في شبه جزيرة القرم ببقاء قواعدها في البحر الأسود التي يقع كثير منها في شبه جزيرة القرم، فضلا عن شن عمليات عسكرية أبعد من ذلك في سوريا مثلا.

وتشير دراسة جاءت بعنوان "البحر غير المضياف: نحو استراتيجية أمريكية جديدة لمنطقة البحر الأسود"، أعدها كل من "ليزا آي أرونسون، و"جيفري مانكوف"، والصادرة عن مركز (الدراسات الاستراتيجية والدولية) "CSIS" في فبراير 2023، إلى أن لدى الولايات المتحدة فرصة لتقوية قيادتها للمنطقة ووضع استراتيجية تتضمن مقاربة شاملة للأمن الإقليمي، على أن تتضمن عِدة ركائز أساسية، تتضمن:

- تعزيز الحضور الأمريكي في المنطقة، نظراً لعدم وجود حليف إقليمي أو مجموعة من الحلفاء يمكن أن تحل محل القيادة الأمريكية أو تحفِّز التعاون الإقليمي، على أن تقوم واشنطن بتسريع تسليم طائرات "F-16" لبلغاريا، والسماح لطرف ثالث بنقل صفقة رومانيا مع النرويج، وكذا الحصول على موافقة الكونجرس لبيع "F-16" لتركيا.
- تعزيز أطر التعاون الإقليمي، حيث يجب على "الناتو" أن يحافظ على دعمه لأوكرانيا وجورجيا وأن يعزز التعاون بين الحلفاء والشركاء، بما يتماشى مع اتفاقية "مونترو" لعام 1936 والتي تقيد وجود الدول غير المطلة على البحر الأسود.
- السعي لتحقيق توازن استراتيجي جديد مع تركيا، نظراً لقيود الموارد المالية وحاجة واشنطن إلى التركيز على المحيطين الهندي والهادئ، فإن أي استراتيجية أمريكية لـ "البحر الأسود" يجب أن تتضمن دوراً أكبر لتركيا، على الرغم من أن الأخيرة لا تزال حذرة من الاضطلاع بدور أكثر بروزاً ليس فقط بسبب الصعوبات السياسية والاقتصادية الداخلية ولكن لأنها تسعى إلى تجنب التصعيد مع روسيا. لذلك، فإن التحدي الذي تواجهه واشنطن في البحر الأسود هو تشجيع أنقرة على بذل المزيد من الجهد من أجل الأمن الإقليمي مع تخفيف مخاوف الدول الأخرى.
- تعزيز المرونة الديمقراطية، من خلال أداء دور مهم في دفع دول "البحر الأسود" إلى تعزيز سيادة القانون ومكافحة الفساد، عبر زيادة الدعم المالي المخصص للمرونة الديمقراطية، ودعم الجهود لتقليل الاعتماد الاقتصادي أو في مجال الطاقة على روسيا.

- زيادة مشاريع البنية التحتية الإقليمية، بحيث يتم التفكير في البنية التحتية والاتصال كمبادرات استراتيجية بالتوازي مع الدعم العسكري، من خلال زيادة الاستثمار في الطرق الجديدة والسكك الحديدية وخطوط الأنابيب والألياف الضوئية ومرافق الموانى والبنية التحتية الأخرى، خاصة وأن المشاريع ذات الأهمية الاستراتيجية لا يمكن تركها دائماً للسوق لأن درجة أكبر من دعم الدولة ستكون ضرورية للتحوط من المخاطر وتعبئة الاستثمار الضروري.

وعلى الرغم من نجاح الولايات المتحدة في استعادة القيادة داخل حلف "الناتو"، وتعزيز قواتها في أوروبا، فضلاً عن قرار السويد وفنلندا التقدم بطلب للحصول على عضوية الحلف، واعتماد "الناتو" مفهوماً استراتيجياً جديداً يحدد روسيا باعتبارها "التهديد الأكثر أهمية ومباشرة لأمن الحلفاء والسلام والاستقرار في أوروبا"، إلا أن مواصلة الدعم لأوكرانيا تتطلب رؤية شاملة لمعالجة التحديات الأمنية في منطقة البحر الأسود؛ نظراً لأن الحرب في أوكرانيا أدت دوراً حاسماً في إظهار الأهمية الإستراتيجية لمنطقة البحر الأسود بالنسبة لأوروبا.

وتُشير الدراسة إلى أنه يجب على الولايات المتحدة وحلفائها التركيز على زيادة المساعدات الأمنية لأوكرانيا بطريقة توحي بأنهم جادون في تمكين كييف من دفع القوات الروسية وإنهاء الحرب بشروط مواتية، وعلى الرغم من أن نتيجة الحرب لا تزال غير واضحة، فمن شبه المؤكد أن تنشأ مواجهة طويلة الأمد بين روسيا والغرب.

مواقف دول البحر الأسود

تفرض محاولات روسيا تعزيز تواجدها العسكري البحر الأسود ضغوطاً كبيرة على أمن الدول الساحلية في المنطقة، خاصة في ظل انعدام وجود رؤية مشتركة فيما بينها لكيفية مواجهة تداعيات السياسات الروسية، حيث تُعد الدول الساحلية - باستثناء تركيا - ضعيفة نسبياً، وجميعها تواجه تحديات كبيرة تتعلق بسيادة القانون، والفساد، والنفوذ الروسي، والاعتماد الاقتصادي على روسيا خاصة في مجال الطاقة، بحسب رؤى مصادر بحثية دولية.

ومن ثم، فإنه في الوقت الذي تكافح فيه أوكرانيا من أجل بقائها في الحرب التي تخوضها أمام روسيا، تشعر مولدوفا وجورجيا ورومانيا وبلغاريا وتركيا بالقلق من احتمال حدوث عدوان روسي في المستقبل خاصة أنها غير متأكدة من التزام حلف "الناتو" بأمنها، ومع ذلك، فإن مواقفها متباينة بشدة تجاه العلاقات مع روسيا.

وحتى قبل بدء الصراع الروسي الأوكراني في 24 فبراير ، فقد شكَّل نمو القوة العسكرية الروسية في البحر الأسود، وما حوله تهديداً كبيراً للأمن الإقليمي، بما في ذلك أمن حلف "الناتو" وحلفائه وشركائه، إذ ترى روسيا أن التعددية الجيوسياسية في البحر الأسود بعد انتهاء الحرب الباردة تتعارض مع مصالحها، خاصة في ظل جهود "الناتو" لاحتواء روسيا داخل ساحلها الشمالي الشرقي.

لذلك، بدأت روسيا الاستفادة من النزاعات حول حدودها لتعزيز وجودها العسكري، ومنع جيرانها الأصغر من تحقيق التكامل الأوروبي الأطلسي، وردع التدخل الخارجي في المنطقة. حيث غزت القوات الروسية جورجيا في أغسطس 2008 ونشرت أكثر من 4 آلاف جندي في المنطقة الساحلية في أبخازيا، والتي أعلنتها موسكو دولة مستقلة، كما ضمت أيضاً شبه جزيرة القرم في عام 2014، مما أدى إلى تغير ميزان القوى الإقليمي لصالح روسيا، والتي استولت على الأصول البحرية الأوكرانية في القرم واستثمرتها في بسط نفوذها وسيطرتها على منطقة البحر الأسود.

وبالنسبة لتركيا. فعلى الرغم من أنها تُعد العمود الفقري لاستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية وحلف "الناتو" في منطقة البحر الأسود، إلا أنها وضعت نفسها منذ 1991 كقوة إقليمية مستقلة تتطلع إلى موسكو للحصول على الفرص الاقتصادية والدعم السياسي، فإن أنقرة تميل إلى الحلف فقط عندما يخدم مصالحها الوطنية الضيقة، انطلاقاً من سعيها للحفاظ على نوع من الملكية الإقليمية على البحر الأسود بناءً على تفسير أنقرة لاتفاقية "مونترو" لعام 1936، والتي تحدد عدد السفن الحربية غير الساحلية وحمولتها ومدة بقائها في البحر الأسود، إذ تمتلك تركيا أطول شاطئ على البحر الأسود كما تتحكم في مضيقي البوسفور والدردنيل الأمر الذي يجعلها صاحبة التحكم

الأكبر على هذا البحر.

كما يرى بعض الخبراء إن دور أنقرة في المنطقة مهم بلا شك لأمن البحر الأسود، ورغم أنها عضو في "الناتو" لكنها تتبع أجندتها الخاصة، لا سيما حول البحر الأسود، وحتى في الحرب الروسية الأخيرة على أوكرانيا، كانت أنقرة تقترب أكثر من موسكو، لكنهما ظلتا، بشكل عام، على طرفي نقيض من الصراع الليبي والسوري، والأهم من ذلك بالنسبة لمنطقة البحر الأسود (الصراع الأرمني الأذربيجاني)، لقد أثبت الصراع في أوكرانيا أن تركيا لا ترى لها مكاناً راسخاً في معسكر موسكو، ولكنها بدلا من ذلك ستتنافس أو تتعاون كلما رأت إمكانية تعزيز قوتها النسبية.

مستقبل الصراع بين واشنطن وموسكو في البحر الأسود

وفقاً لخبراء عسكريين، فإنه وبتحليل الأحداث نجد أن الإدارة الأمريكية تعاملت مع الحدث الأخير «واقعة إسقاط الطائرة المسيرة» بمنتهى العقلانية، فهى لم تقم بأى رد عسكرى فورى كان سيتحول إلى صراع عسكرى من الصعب السيطرة عليه بين أمريكا وروسيا، كذلك جاء اتصال وزير الدفاع الأمريكى أوستن مع نظيره الروسى شويجو فى اليوم التالى للحادث ليؤكد أن هناك اتجاهًا يهدف إلى عدم التصعيد لأى أعمال قتالية مستقبلًا، رغم أن كل طرف أعلن استياءه من تصرف الطرف الآخر، حيث أعلن الوزير الروسى أن هذه الطائرة كانت تهدف إلى الحصول على معلومات عن القوات الروسية فى شبه جزيرة القرم والمواقع الروسية فى أوكرانيا لكى ترسلها إلى الجانب الأوكرانى، الأمر الذى يُعتبر أمرًا استفزازيًّا، وعلى الجانب الأمريكى جاء رد وزير الدفاع بأن هذه الطائرة كانت تعمل فى الأجواء الدولية ولم تخترق المجال الجوى الروسى.

وقد أُعتبر القرار الأمريكى فى اليوم التالى بإيقاف عمل المسيرات الأمريكية فوق منطقة البحر الأسود، والاكتفاء بالحصول على المعلومات فى هذه المنطقة من الأقمار الصناعية الأمريكية، قرارا حكيما حتى لا تتزايد حدة التوتر مرة أخرى، فيما أكدت هذه الحادثة أن الخط الساخن الذى يعمل بين روسيا وأمريكا مازال يعمل حتى الآن لحل الأزمات الطارئة لتجنب أى توتر فى الحالات الطارئة، وقد تواكب ذلك مع تأكيد دبلوماسيين من حلف شمال الأطلسي "ناتو" في

بروكسل الواقعة، لكنهم قالوا: إنهم "لا يتوقعون أن يؤدي الأمر إلى تصعيد وإلى مواجهة"، وقال مصدر عسكري غربي لـ"وكالة فرانس برس"، طالبا عدم كشف هويته، إنه "سيتم تفعيل القنوات الدبلوماسية بين روسيا والولايات المتحدة. وأضاف "في رأيي، القنوات الدبلوماسية ستخفف من أثر ذلك".

وتأتي هذه القراءة المتفاءلة في مستقبل هذا الصراع، في حين أن بعض القضايا المستمرة لا تزال من دون حل في منطقة "البحر الأسود"، وكلها لديها القدرة على إثارة المزيد من الصراع، وخاصة الحرب الروسية – الأوكرانية، حيث يسلط الحادث الضوء على الخطر المتزايد للمواجهة المباشرة بين روسيا والولايات المتحدة بشأن أزمة أوكرانيا.

فيما يرى مراقبون أمريكيون أن يطور حلف "الناتو" استراتيجية أكثر قوة تجاه روسيا، وأن يجد طرقاً مجدية للعمل مع الدول المطلة على البحر الأسود لتحسين الأمن الإقليمي، ويوصى هؤلاء أنه يجب على الولايات المتحدة أن تشجع حلف "الناتو" على إنشاء مهمة دورية بحرية في البحر الأسود على غرار مهمة الشرطة الجوية "الناجحة" في بحر البلطيق، ذلك من أجل الحفاظ على وجود قوي لحلف شمال الأطلسي في البحر الأسود بما يتماشى مع اتفاقية "مونترو"، وأن يتم ذلك من خلال الحلفاء غير المنتمين إلى "الناتو" ممن يطلون على البحر الأسود.

ويشار في هذا الصدد إلى أن منطقة البحر الأسود شغلت لفترة طويلة هامش استراتيجية الغرب للتصدي لروسيا بدلا من أن تكون عقيدة أساسية بها، لكن الوضع الأوكراني والتحركات المتنامية في واشنطن وبروكسل والعواصم الإقليمية، يرجح أن تسهم في وضع "البحر الأسود" في صميم استراتيجية "الناتو"، إذ انه بالنسبة لواشنطن وحلفائها في "الناتو" يعد التصدي للنفوذ الروسي في البحر الأسود أمرا أساسيا للاحتفاظ بنفوذهم على الجناح الجنوبي الشرقي لأوروبا، في وقت تعتبر فيه روسيا من جهتها أن البحر الأسود لن يكون أبدا "بحرا للناتو"، وقالت على لسان المتحدث الرسمي باسم الرئاسة الروسية (الكرملين)، دميتري بيسكوف، مؤخراً إن "الأمن هناك غير قابل للتجزئة"، كمان روسيا لا تستطيع التراجع في أوكرانيا أو أن تتركها لتصبح جزءًا من الإتحاد الأوروبي أو

حلف الناتو.

ويدعو بعض الخبراء الاستراتيجين في الولايات المتحدة إلى أنه ينبغي أن تقرر إدارة "بايدن" الأمريكية كيف سترّد على الوجود العسكري المتزايد للكرملين في منطقة البحر الأسود ومحاولته السيطرة على المياه المحيطة بشبه جزيرة القرم، إذ إن المخاطر الناجمة عن ذلك تتخطى روسيا والبحر الأسود، ويتعين عليها في سبيل ذلك الضغط على تركيا كي تعمل بفعالية أكبر مع "الناتو" في مواجهة روسيا ضمن البحر الأسود، بالتوازي مع وجوب استمرار الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلنطي "الناتو" أيضاً في تقديم الدعم السياسي والعسكري لبلغاريا وجورجيا ورومانيا وتركيا وأوكرانيا، لمساعدة هذه الدول في بناء القدرة على الصمود أمام لعبة القوة الروسية في منطقة البحر الأسود ذات الأهمية الجيوستراتيجية والتاريخية للعديد من الدول والقوى الإقليمية، خاصة وأن الحرب الروسية - الأوكرانية، والتي تمُثل الأزمة الأخطر على الساحة الدولية منذ انتهاء الحرب الباردة في مطلع تسعينيات القرن العشرين، من جهتها، أعادت تماسك حلف شمال الأطلنطي "الناتو" بصورة غير مسبوقة، وجعلته أكثر تماسكاً من ذي قبل.

ورغم ما يؤشر إليه سلوك واشنطن وموسكو العقلاني - إلى حد ما - بشأن عدم التورط في مواجهة عسكرية مباشرة في المنطقة، بشأن مستقبل الصراع بين الجانبين في البحر الأسود، وأن هناك اتجاهًا يهدف إلى عدم التصعيد لأى أعمال قتالية مستقبلًا، رغم أن كل طرف أعلن استياءه من تصرف الطرف الآخر، فإن هذه القراءة المتفاءلة في مستقبل هذا الصراع، يقابلها بعض الشكوك تعويلاً على أن بعض القضايا المستمرة لا تزال من دون حل في منطقة "البحر الأسود"، وكلها لديها القدرة على إثارة المزيد من الصراع، وخاصة الحرب الروسية – الأوكرانية، وسط دعوات لحلف "الناتو" لتطوير استراتيجية أكثر قوة تجاه روسيا، وأن يجد طرقاً مجدية للعمل مع الدول المطلة على البحر الأسود لتحسين الأمن الإقليمي.